

وسرورها بمقدمه، ولكنه يرى وجنتيها قد ازدادتا شحوبًا، وعينيها قد بدت أكثر زُرْقَةً
وعُمْقًا، ويرى على تَيِّكَ الشفتين الرقيقتين كلماتٍ تختلجُ يُجاذبها الحياءُ منه والحفاظُ
على مودَّتِه أن تَلْفَظَها، ويسألها النعمان عما بها فلا تجيب، ولكنها ما تكاد تسمع
صوته الحاني حتى تستحيل تلك الاختلاجةُ دموعًا تنحدرُ على الوجنتين الشاحبتين،
ويدنو منها النعمان، فيمسح على شعرها بيده، ويعيد سؤاله متلطفًا، فتجيبه: ليس
يخفى عليَّ يا نعمان — ولا يطيب لي أن أنكر — أنني جاريَتُكَ.

— بل زوجتي وأُمُّ ولدي يا سبيكة.

— نعم، أم ولدك التي أكرمتها بنسبك فسميتها زوجًا.

— بل أنتِ أكرمَتيني يا سبيكة بَدِيًّا بما أسبغت عليَّ من حنانكِ وعطفكِ، ثم
أكرمَتيني ثانيةً حين ولدت لي عُتبية هذا الذي أرجو أن يكون قرَّةَ عينٍ لي ولكِ، وما
زلت تُكرميني بما تحفظين من غيبي وتحدين على أهلي وترعين ولدي راضية صابرة
على مرِّ الفراق وشظف العيش.

— ولكن أمك لا ترضى يا نعمان.

— أمي؟!

— وزوج أخيك أيضًا، وولدك عتبية!

— ماذا؟ ... قد علمتُ من علم الناس أنَّ الحماة والسُّلفَة لا ترضيان أبدًا عن الكنة

... ولكن ما شأن ولدنا عتبية؟!

— إنه مثلهما يُنكر على أمه أنها ليست عربية.

— ومن أنبأه؟

— لم يُنبئه أحد!

— فماذا قال إذن؟

— جاءني ذات يوم يسألني: إلى أيِّ عرب اللاذقية تنتسبين يا أمُّ؟

— فكيف كان جوابك؟

— قلت له: إنَّ أباك يعرف، ولم أزد، فقد خنقتني العبرة، ففررتُ من بين يديه إلى

خَلوتي.

— أفهذا ما تقولين إنه يُنكره عليك؟

— نعم!

— لقد أسأتِ الفهم يا سبيكة.